

- ٣ - العربية الجنوبية أو كما تسمى أحياناً السبئية أو الحيرية
(نقوش منذ ٨٠٠ ق.م)
٤ - الأرامية (نقوش منذ ٨٠٠ ق.م)
٥ - الفينيقية (نقوش منذ ٧٠٠ ق.م)
٦ - الحبشية (نقوش منذ ٣٥٠ م)
٧ - العربية (من ٥٠٠ م)

وبالرغم من أن العربية على هذا الاعتبار أحدث اللغات السامية إلا أنها تعتبر عادة أقرب صلة من أية واحدة أخرى إلى النموذج الأصلي السامي *Urs emilich* الذي اشتقت جميعاً منه ، كما هو الحال في العرب - تبعاً لمركزهم الجغرافي وحياتهم الصحراوية المطردة التاسق - فقد حافظوا على الطبع السامي وظل فيهم - لاعتبارات خاصة - أتق وأبرز مما هو عند بقية الأمم المتفرعة من هذا الجنس . ومنذ عصر الفتوح الإسلامية الكبرى (٧٠٠ م) حتى اليوم نشر العرب لغتهم ودينهم وثقافتهم في مساحة كبيرة من العمورة تفوق كل ما كانت تشمله الامبراطوريات السامية القديمة . حقاً إن العرب لم يلبثوا طويلاً على الحال التي كانوا عليها خلال العصور الوسطى ، فلم يعودوا الأمة للسيطرة على العالم ، إلا أنهم قد استعاضوا عن ضياع السلطة الزمنية بالجدد في نشر سلطانهم الديني . ولا يزال الإسلام حتى اليوم الحاكم الأعظم لآسيا الغربية ؛ أما في أفريقيا فهو في تقدم مستمر ، حتى في أوروبا ، فقد وجد في تركيا عوضاً له عن طرده من اسبانيا وصقلية . وبينما نرى أن معظم الشعوب السامية قد أتت غير مخلقة ورائها سوى ثبت طفيف غامض لا نأمل من ورائه أن نلم بتاريخها تماماً نرى في دراستنا للعرب مادة وفيرة تساعدنا على دراسة معظم أطوار تقدمهم منذ القرن السادس للميلاد ، تساعدنا على كتابة التاريخ العام للحياة والتفكير عندهم . ولست في حاجة لأن أقول إن هذا الكتاب لا يحاول أداء هذه المهمة حتى ولو زاد حجمه مراراً ؛ إذ لا بد من اقتضاء زمن طويل قبل أن يتمكن الباحث ميدان الأدب العربي الواسع المتاحي المختلفة ، وقبل أن تكون النتائج مقبولة لدى المؤرخ لم يكن « الزيج الخالي » غيب - الذي يخترق شبه الجزيرة ويقوم فاصلاً طبيعياً دون الاتصال بالداخل - هو الذي

تاريخ العرب الأدبي

للأستاذ رينولد نيكلسون

المستشرق الانجليزي

ذلك هو كتاب تاريخ الأدب العربي للأستاذ رينولد نيكلسون نشره ابتداء من هذا السد تباعاً كما وعدنا في العدد السابق

المدخل لتاريخ العرب

العرب أمة من الأمم العظيمة التي تناسلت كما يقال من سام ابن نوح ، ومن ثم يعرفون عادة بالساميين ذلك اللفظ الذي يدخل فيه البابليون والآشوريون والبرانيون والكنعانيون والسبتيون والأحباش والآراميون والعرب ، وبالرغم من أن هذا لمبني على تقسيم غير مضبوط اجتماعياً (لأنه ورد في الاصحاح العاشر من سفر التكوين ، أن الكنعانيين والسبتيين من ذرية حام) بالرغم من هذا فقد أحسن الاختيار Sickhorn المتوفى سنة ١٨٢٨ م في فهمه للشعوب الشديدة الارتباط ببعضها التي ذكرناها . وسواء أكان الموطن الأصلي للجنس السامي التماسك جزءاً من آسيا (كبلاد العرب أو أرمينية أو أدنى الفرات) أم أنه دخل آسيا من أفريقية^(١) فهذا شيء لم يثبت بعد ، فهم (منذ زمن بعيد قبل بدء العصر الذي ظهروا إياه على مسرح التاريخ) قد تشعبوا وكوتوا أقواماً منفصلة ، ولا يمكن في هذا المجال شرح علاقات اللغات السامية ببعضها البعض . ولكن قد يستطاع ترتيبها ترتيباً زمنياً حسب انتشار الأدب كما يلي^(٢) :

- ١ - البابلية أو الآشورية (من ٣٠٠٠ - ٥٠٠ ق.م)
٢ - العبرية (من ١٥٠٠ ق.م)

H. G. Rimme : Weltgeschichte Karaherbildern (١)

Muhammed, (Manich 1904), P. 6 S 99.

(٢) راجع لذلك في Die Semitischen Sprachen (ليزج ١٨٩٩)

ومقاله « اللغات السامية Semitic Languages » في دائرة المعارف البريطانية (الطبعة الحادية عشرة) أما كتاب رينان *Histoire générale des langues* فقد أصبح قديماً . وقد طبع هومل مقالاً فيما عن أهمية الساميين في تاريخ الحضارة كقائمة لكتابه المطبوع في ليزج سنة ١٨٨٢ المسمى : *Semites* chen Völker und Sprachen, Vol 1 والتواريخ المذكورة في هذا الجدول تحريية

ثم خطب اليهم فزوجوه امرأة منهم^(١)

ولا جدال في أن هذه الانساب خيالية إلى حد ما ، إذ لم يكن علم النسب موجودا في العصر السابق للإسلام ، حتى لم يكن لدى المحققين المسلمين المتقدمين سوى أخبار طفيفة عميرة اعتمدوا عليها^(٢) . أضف إلى هذا أنهم راعوا الظروف السياسية والدينية وغيرها ، ومن ثم فإن دراساتهم للقرآن والتاريخ الديني قادتهم لدراسة رموس القبائل الذين يوضعون في المقدمة . أما سلسلة النسب التي تبدأ ببدنان فلسنا نستطيع قبولها كسألة تاريخية خالصة ، ولو أن أغلبها قد تراكم في ذاكرة العرب قبل ظهور الإسلام ، يؤيد هذا شهادات شعراء الجاهلية^(٣) ؛ ومن ناحية أخرى أن نسبة كل قبيلة إلى جدّها الأول تخالف الحقائق التي أثبتتها البحوث المحدثون^(٤) ، من أن كثيراً من الأسماء تشير إلى اتحاد عملي ، فعمد مثلاً تشير في الأصل إلى جماعات كبيرة أو عائلات قبلية . وقد يكون الخلاف الاجتماعي بين عرب الشمال وعرب الجنوب (كالعداء الحاد الذي فرق بينهم منذ صدر عهد الإسلام^(٥)) قد يكون هذا الخلاف مقبولاً إذا قصرنا لفظ التمنية (أهل الجنوب) على أهل سبأ وحير وغيرهم من التحضرين الذين سكنوا اليمن وتكلموا لهجته الخاصة ، ولكن يصعب أن يقصد به البدو التمنيون المتكلمون بالعربية الذين انتشروا في جميع رحاب شبه الجزيرة . وإن مثل هذا النقل لا يؤثر في قيمة وثائق النسب باعتبارها صورة للعقلية العامة ، ومن وجهة النظر هذه تكون الخرافة أحياناً أهم من الحقيقة . ويبنى علينا أن يكون هدفنا في الفصول التالية إيضاح معتقدات العرب غاضين النظر عن نقدها وبيان حظها من الخطأ والصواب

إن للعربية بأوسع معانيها لهجتين رئيسيتين هما :

١ - العربية الجنوبية وهي لسان اليمن ، وتشمل السبئية

(١) كتاب المعارف لابن تيبة طبعة وستفالد من ١٨

(٢) Goldziher : Mohammedanische Studien part I, II. 133 e 99 177 s 99

(٣) Noldeke Z. D. N. G. Vol. 40, p. 177

(٤) Margoliouth: Mohammed and the rise of Islam

(٥) في يعلق بطبيعة الحصرمة وأسبابها ارجع إلى كتاب جولد زهر

Muh. Studieu ج ١ ص ٧٨ وما يليها

يقسم بلاد العرب منذ القديم إلى قسمين : شمالي وجنوبي ، بل كان هناك أيضاً العداء الناشب بين جنسين بينهما بون شاسع من ناحية الطبع وأسلوب العيش . فبينما كان سكان القسم الشمالي (الحجاز وهضبة نجد الوسطى) بدوا غلاظاً يسكنون بيوتاً من الوبر وينتقلون من مكان إلى آخر انتجاعاً للشب والكلأ لأهلهم كان أهل اليمن Arabia Felix معروفين لدى التاريخ - قبل كل شيء - كورثة لحضارة نالدة وأصحاب ثروة ضخمة خيالية من الطيب والذهب والأحجار الكريمة تحت إمرة الملك سليمان . وقد تكلم بدو الشمال اللغة العربية - أي لغة قصائد العصر السابق للإسلام والقرآن - على حين كان أهل الجنوب يستعملون لهجة يسميها المسلمون « الحميرية » التي عثر حديثاً على نموذج من خطوطها وفسر . وسنسب في الكلام حالاً عن هؤلاء السبئيين الذين أطلق عليهم هذا الاسم جغرافيو اليونان والرومان . وقد أخذ نجمهم في الأقول في القرون الأولى للمسيحية حتى تلاشوا نهائياً من صفحة التاريخ قبل سنة ٦٠٠ م حيناً أخذ جيرانهم أهل الشمال في الظهور والقوة .

وليس من شك في أن ما نشر بين علماء الأنساب المسلمين الفكرة القائلة بأن العرب يرجعون إلى أصلهم إلى رهطين منفصلين تسلسلاً من جدّهم المشترك سام بن نوح هو الفارق الجنسي العظيم من الذكاء . أما فيما يختص بأهل الشمال فإن تسلطهم من عدنان (من ذرية اسماعيل) أمر معترف به من الجميع . أما أهل الجنوب فيرجعون إلى قطان الذي يزعم النسابةون أنه نفس يقطان بن عابر ؛ وتحت اليقطانيين الذين هم الأصل القديم نجد مدرجا مع السبئيين كثيراً من القبائل القوية كطى وتنوخ وكندة وغيرها من التي استوطنت بلاد العرب الوسطى قبل ظهور الإسلام بوقت طويل ، ولم يكن هناك ما يميّزهم من البدو الذين يرجع أصلهم إلى اسماعيل . أما فيما يتعلق ببدنان فإن سلسلة نسبه لا تزال موضع جدال وحجاج وإن اتفق الجميع على أنه من ذرية اسماعيل بن إبراهيم من هاجر . وتذكر القصة أنه عند ميلاد اسماعيل أمر الله إبراهيم أن يرحل إلى مكة بزوجه هاجر وابنها ويتركهما هناك ، فامثل لأمره وتركهما ، وجاءت رفقة من جرهم (وهم من ولد يقطان) فزلوا شعاب مكة فقتلوا اسماعيل مع أولاد الغرياء ، وتعلم الرمي ، ونطق بلسانهم

والحيرية والمدينة واللجات القريبة منها كل هجة مهرة والشحر
ب - العربية الفصحى التي ينطق بها في بلاد العرب عامة
ما عدا اليمن . أما عن اللغة الأولى - دون التعرض لمهري
وسكُنزى وغيرهما من اللجات الحية - فليس لدينا سوى هذه
المخطوطات العدة التي جمعها الرواد الأوروبيون ، وستكون
موضوع بحثنا في الفصل التالي الذي سأقدم فيه بحثاً موجزاً
يتناول تاريخ السبئين والحيريين القديم . والعربية الجنوبية تماثل
العربية في تراكيها القوية من الجمع الشاذ وعلامة التنثية ، وإشارة
الجمع بإضافة م (وتستبيض العربية عنها بحرف ن) وكذلك في
كلماتها . أما حروفها الهجائية التي تشمل تسعة وعشرين حرفاً
فهي أقرب إلى الحبشية ؛ وقد استولى الأحباش على الإمبراطورية
الحيرية في القرن السادس الميلادي ، حتى إذا كان حوالي سنة ٦٠٠ م
أصبحت العربية الجنوبية لغة ميتة ، ومنذ ذلك الحين صار للهجة
عرب الشمال السيطرة العظمى واتخذت لنفسها كلمة « العربية »

إن أقدم الآثار المكتوبة للعربية جديدة إذا قورنت بالنقوش
السبئية التي يرجع بنا بعضها إلى ٢٥٠٠ سنة أو ما يقرب من ذلك
إلى الورا ، وباستثناء نقوش الحجر في شمال الحجاز ونقوش
الضفا المجاورة لدمشق (التي بالرغم من أنها قد كتبت بالعربية
الشمالية قبل العهد المسيحي فهي أقرب إلى السبئية ولا يستطيع
تسميتها بالعربية بالمعنى الفهومي من هذا اللفظ) باستثناء ذلك فإن
معظم أقدم أمثلة الخط العربي التي اكتشفت قد كتبت بمخطوط
لهجات زبد^(١) الثلاثية^(٢) ، وهي السراينية والأغريقية والعربية
وترجع إلى سنة ٥١٢ أو ٥١٣ ، ولتقى حران^(٣) اليونانية

(١) زيد كما قال ياقوت : « زيد يفتح أوله وثانيه وآخره دال مهلة
بلفظ زيد الماء والبعر ... قيل قرية بقنسرين لبني أسد ، قال محمد بن موسى
زيد يفتح الزاي والباء في قرآن مدينة السلام له ذكر في التأخرين » (معجم
البلدان ج ٤ ص ٣٧٤ طبعه مصر ١٩٠٦)
(٢) وقد طبعها لأول مرة Sachau في :
Monatsberichte des Königl. Preuss. Akad. der Wissenschaften zu Berlin

(فبراير سنة ١٨٨١) ص ١٦٩ وما يليها

De Vogüé : Syrie Centrale, Inscriptions Sémitiques, (٣)
p. 117

ويجد القارىء مراجع أخرى عن هذه الناحية المذكورة في Z. D. M. O.
المجلد ٣٥ ص ٧٤٩

(يتبع) ترجمة محمد حسن جهني

(١) يمكن للقارىء أن يراجع في هذا الموضوع ما كتبه جولدنزهر في
Muh. Studien ج ١ ص ١١٠ وما يليها
(٢) أخذت العربية في الظهور بخط العربية الشمالية في القرن الثالث
للميلاد ، وربما كان أقدم ما كشف حتى الآن من المخطوطات التي يرجع إلى
سنة ٢٦٨ م وهو الذي طبعه Jäussen و Savignac في : Mission
Archeologique en Arabie, Vol 1, P. 172 ومع أنه مكتوب بحروف
آرامية إلا أن كلماته جميعها تقريباً عربية كما يرى ذلك مما نقله الأستاذ Horovitz
في مجلة Islamic Culture (جدير أباد الدكن) عدد شهر إبريل ١٩٢٩
ج ٣ رقم ٢ ص ١٦٩ هامش رقم ٢